

## التداولية: قراءة في المصطلحات والمفاهيم

مريم بن عياش (طالبة دكتوراه) / جامعة الوادي

إشراف د. محمد الصديق معوش / جامعة الوادي

. مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

### الملخص:

تكشف هذه الورقة البحثية عن معالم التداولية **Pragmatics** وأهميتها في حقل اللسانيات وذلك بالوقوف عند المصطلح والمفهوم، من أجل التعريف بها، وإزالة اللبس والغموض عنها باعتبارها إطارا معرفيا ينحت من عدة ميادين، الأمر الذي جعلها تتسم بالضبابية. فما مفهوم التداولية؟ وما هي أهم الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي نهضت عليها، ومن هم روادها؟ وما هي أهم المفاهيم التي يحملها هذا المصطلح؟ وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات، استعنا بإجرائي الوصف والتحليل.

الكلمات المفتاحية: التداولية - قراءة - المصطلح - المفهوم

### Abstract:

This paper reveals the features of Pragmatics and its importance in the field of linguistics by standing at the term and concept, in order to identify them, and to remove ambiguity and ambiguity, as a framework of knowledge carving from several fields, which made them blurry. What is the concept of deliberation? What are the most important philosophical and cognitive backgrounds that have emerged, and who are the pioneers? What are the most important concepts carried by this term? In an attempt to answer this argument, we used both descriptions and analysis.

**Key words:** deliberative - reading - the term - concept

عرف القرن التاسع عشر ميلادي توجه لساني، يتجاوز دلالات الألفاظ القاموسية باحثاً عن المعاني في السياقات المختلفة؛ كما يهدف إلى التوسع فيها، وكسر الحواجز اللغوية، والتسلل إلى الإطار الاجتماعي ويعرف بمصطلح **Pragmatics**، ليترجم فيما بعد إلى عدة مصطلحات عربية أهمها وأبرزها: مصطلح "التداولية"، مصطلح "البراغماتية"، مصطلح "الذرائعية"، أو "الذرائعية الجديدة"، ... ولكن مفهوم هذا المصطلح تتفرع جذوره في التراث اليوناني والعربي.

وللتداولية تقاطعات مع عدة علوم، مما يصعب على الباحث تقديم تعريف جامع مانع لها. كونها خليط من اللسانيات والفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع... وبناء على ذلك سنحاول تقديم بعض التعريفات المتعلقة بها مع الإشارة إلى الخلفيات التي ارتكزت عليها.

### • ما هي التداولية؟

#### 1/ الوقوف عند المصطلح:

عند الحديث عن مصطلح **Pragmatics** ذو اللفظ الإنجليزي والذي يدل غالباً على «ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية»<sup>(1)</sup> ومصطلح **Pragmatique** ذو اللفظ الفرنسي والذي يقترن بمعنيين هما «محسوس» و«ملائم للحقيقة»<sup>(2)</sup> فيلتقيان تقريباً عند نفس المفهوم وهو البحث عن الحقيقة. فهو حديث لا محالة عن ذلك المصطلح الغربي المعاصر الذي رأى النور عند ثلثة من الفلاسفة والمفكرين الناشطين في حقل الدراسات اللغوية - قسم المنحى الوظيفي-؛ ونريد بذلك الاتجاه المهتم بدراسة استعمال اللغة في التواصل ضمن إطارها الاجتماعي، «ومن بين المنظرين الأعلام الممثلين للتداولية (...). نجد فيلسوفين وهما أوستين (Austin) وسورل (Searle)، وعالم اجتماع هو "غوفمان" (Goffman) وكذلك نجد عالماً مختصاً في الاجتماعية الاثنولوجية هو "غمبرز" (Gumperz) وتضاف إلى هؤلاء مدرسة ذات توجه نفسي أساساً، هي مدرسة "بالو ألتو" (Palo Alto)»<sup>(3)</sup> إضافة إلى هذه الأسماء نذكر الرائد الأول لهذا العلم وهو الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس **Charles Morris** الذي ينسب إليه الاستعمال الحديث لمصطلح التداولية، فنجدته قد ميز «في مقال كتبه في موسوعة علمية، بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التركيب (...)، وعلم الدلالة (...)، وأخيراً التداولية التي تُعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها. والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) و التعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.»<sup>(4)</sup> وذهب موريس إلى أبعد من ذلك عندما قال أنه: «لوصف التداولية وصفاً دقيقاً يجب أن نقول أنها تتناول الجوانب الحيوية

لعلم العلامات (علم الإشارات أو السيمياء) ويقصد جميع الظواهر النفسانية والبيولوجية والاجتماعية التي تظهر في عمل العلامات»<sup>(5)</sup> فهو يريد القول بذلك أن هذا العلم يضم عدة علوم مجاورة له، مساندة ومساعدة كعلم اللغة النفساني وعلم اللغة الاجتماعي، وغيرها.

فالتداولية لا تبتكر المعاني، لأن المعاني موجودة في المعاجم، لكنها تبحث عن المعاني المضافة (المعاني العميقة) فتدرس اللغة وهي قيد الاستعمال.

غير أن موريس عندما عرف هذا العلم المسمى بالتداولية - وهو أول من عرفها - لم يكن يريد تعريفها، وإنما عرفها في إطار التقريب بين ثلاثة علوم هي: علم التركيب (علم النحو)، وعلم الدلالة، وعلم التداولية. فقد «انشغل في رسم وتحديد الشكل العام لعلم العلامات أو السيمياء (...) ومنذ أن قسم موريس السيمياء أمست التداولية تستعمل بطريقتين مختلفتين. ظهر من الجانب الأول ما أراده موريس وهذا ما يعلل لنا وضع عنوان التداولية على الكتب التي تتناول - على سبيل المثال - قضايا متنوعة مثل سيكولوجيات التواصل ونشوء نظام الرموز، وحتى هنا، يتجلى توجه لاستعمال التداولية بوصفها جزءا من علم السيمياء اللغوي حصرا وليس جزءا من نظام العلامات العام.»<sup>(6)</sup> أي أن غايته من تعريف التداولية هو وضع مفهوم دقيق لعلم الرموز، كما أنه جعلها جزءا من علم السيمياء.

وتعود أصول التداولية أو البراجماتية إلى «اللفظ اليوناني القديم "Pragma" (براجما) ويعني العمل، وقد استخدم لفظ "Pragmatism" في الفلسفة الواقعية، وقد ذكر بعض الباحثين أن الفيلسوف والمنطقي والرياضي تشارلز ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce (1839-1914) أول من استخدم البراجماتية Pragmatics»<sup>(7)</sup>

وبعد تداول مصطلح البراجماتية في الساحة اللسانية الغربية، والخوض في غمارها والتفتيح عن حيثياتها، ونظرياتها وخاصة نظرية الأفعال اللغوية، ألقى به فيما بعد في البيئة العربية من طرف الباحثين اللسانيين العرب، ليشهد شرذمة في المصطلح فقد ترجم مصطلح Pragmatique إلى العربية بعدة مصطلحات كان أهمها: «الذرائعية، والتداولية، والبراجماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية والنفعية، والتبادلية»<sup>(8)</sup> وغيرها من المصطلحات العديدة، لكن مصطلح التداولية حظي بالقبول والتداول أكثر من غيره «لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى»<sup>(9)</sup>

هذا ويرجع الباحثون أول استخدام لمصطلح التداولية إلى «الأستاذ أحمد المتوكل أستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط بالمملكة المغربية ويبدو أنه لقي استحسان المختصين

وأصبح متداولاً»<sup>(10)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن الباحث اللساني "طه عبد الرحمان" هو الذي اقترح المصطلح وتبناه فيما بعد الأستاذ "أحمد المتوكل". كما استخدم كل من الناقلين "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" مصطلح الذرائعية الجديدة New Pragmatism فجددهما يتكلمان عنها فيقولان: «أما وصف هذا الاتجاه بالذرائعية فيعود إلى كونه امتداداً لفلسفة معروفة بهذا الاسم أسسها الفيلسوف الأمريكي "تشارلس ساندرز بيرس" في القرن التاسع عشر، إذ أصبح مصطلحاً فلسفياً في عام 1878م. غير أن بيرس صاغ المصطلح برسم مختلف (Pragmaticism) في عام 1905م ليكون شارة على منحاه الخاص في هذا الاتجاه.»<sup>(11)</sup> أي أن هذا المصطلح -الذرائعية- منطلقه منطلق فلسفي، وهذا يبرر سبب تعدد المصطلحات الخاصة بهذا العلم وبناءً على مجال اهتمام الباحث نفسه، أمّا «إذا انتقلنا إلى الدكتور محمد محمد يونس علي، فإنه يفضل استعمال مصطلح علم التخاطب. وفي هذا الصدد يقول الباحث: أفضل ترجمة مصطلح (Pragmatics) بعلم التخاطب، وليس بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية، كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهماً بأن (Pragmatics) و (Pragmatism) شيء واحد»<sup>(12)</sup>

والجدير بالملاحظة أن هذا العلم الذي انتشر وتقدم بخطوات كبيرة في البيئة اللسانية الغربية، يشهد في بيئتنا العربية بداياته الأولى، على الرغم من وجود بصماته في تراثنا اللغوي والنقدي القديم؛ ونقصد بذلك كتب البلاغة، والفقه، وأصول الفقه، وغيرها من العلوم ذات الصلة الوثيقة بهذا العلم اللغوي المسمى بالتداولية، آمين أن يفيض عنها الغبار وتتلقى قراءة جديدة حداثية مغايرة.

## 2/الوقوف عند المفهوم:

التداولية اتجاه فلسفي ولغوي يدرس اللغة وهي قيد الاستعمال، من أجل القبض على المعاني الخفية التي تجاهلتها المناهج النسانية، وتتعدّد مفاهيم هذا المصطلح بسبب اختلاف المشارب التي نهلت منها فصعب على الباحث الإمساك بمفهومها، وعلى وجه العموم يمكن تعريفها بأنها «دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تُعنى به تحديداً للسانيات. وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة فلأن هذا الاستعمال ليس محايداً، من حيث تأثيراته في عملية التواصل ولا في النظام اللغوي في حد ذاته»<sup>(13)</sup> أي أن اللغة لها استعمال، هذا الاستعمال له علم، والتداولية هي هذا العلم. إنّ هذا التعريف للتداولية هو تعريف لها من خلفية لسانية محضة، كما «يميل علماء اللغة أحياناً إلى مباينة التداولية مع علم الدلالة الذي بدوره يدرس معنى الجملة. وهذا -ببساطة- يعني أن التداولية تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحياناً بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم»<sup>(14)</sup> وهناك بعض الباحثين الذين تطرقوا إلى مفهوم عام للتداولية فقالوا عنها: «إن التداولية أحدث فروع العلوم اللغوية، وتُعنى بتحليل

عملية الكلام والكتابة ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام»<sup>(15)</sup> وانطلاقاً من هذه التعريفات اللسانية لمفهوم التداولية يمكن أن نتعمق أكثر في هذا المفهوم من خلال الحديث عن مقتضياتها، فهي «تهتم بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمان (المخاطب والمخاطب)، السياق (الحال، المقام، الاستعمالات العادية للكلام)؛ الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع»<sup>(16)</sup> وكان ذلك بعد الإفراط الكبير في الاهتمام -المبالغ- باللغة كنسق مغلق مكتف بذاته مثل ما أتت به البنيوية، فجاءت التداولية كرد فعل صريح على هذه التوجهات اللغوية المغلقة واهتمت بالسياقات المحيطة باللغة، وأولت عناية كبيرة بالمخاطب والمخاطب لأن هذا المخاطب لا يقول كل ما يريده من معنى، ولكن المخاطب يلتقط كل ما قاله وما لم يقله من معاني. ولذلك يمكن تعريفها بأنها «تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتتظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد طابعه الخطابية»<sup>(17)</sup> وبأنها كذلك «دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، في نفس الوقت»<sup>(18)</sup> هذا التباين في تعريف التداولية ناتج عن اختلاف مقصدية الباحث المشتغل عليها فهناك من حصرها في المجال اللساني باعتبارها علم الاستعمال اللغوي، وهناك من وسع من دائرة مفهومها بجعلها حلقة هامة في عملية التواصل.

#### • التداولية: النشأة والخلفيات الفلسفية

إنّ الحديث عن نشأة التداولية يقتضي التحدث -أولاً وقبل كل شيء- عن الخلفيات المعرفية والفلسفية التي أنجبتها، فقد يعتبرها الكثير مبحثاً لسانياً جديداً، غافلين عن جذورها الضاربة في القدم، وقد تمت الإشارة سابقاً إلى أن مصطلح البراجماتية يعود إلى الكلمة اليونانية "Pragma" المراد منها العمل كما أشرنا كذلك إلى وجود اجتهادات عربية ضمن هذا الاختصاص حيث كانت هناك «إشارة واضحة إلى ما يعرف بأفعال الكلام وذلك ضمن نظرية الخبر والإنشاء. ومن النحاة والبلاغيين الذين تعرضوا إليها أبو بشير عمرو بن قنبر المعروف بسبويه في القرن الثاني الهجري وعبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري وأبو يعقوب السكاكي (...) وكذلك بعض الفلاسفة والمناطق الذين بحثوا في الاعتبارات المنطقية المتصلة بالمركبات التامة، وتمييز الخبرية منها عن غير الخبرية»<sup>(19)</sup> ورغم كل هذه المحاولات العربية القائمة على البحث في نظريات التداولية كنظرية أفعال الكلام، بالإضافة إلى نظرية الحجاج، إلا أنهم لم يعبروا عنها بمصطلحات واضحة وصريحة، وإنما كانت أبحاثهم ضمن إطار البلاغة والنحو وفقه اللغة، وغيرها من العلوم المجاورة والمتكاملة فيما بينها.

وبعد الانتفاضة العلمية التي شهدتها العالم الغربي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين متجاوزين بذلك الفلسفة الميتافيزيقية التي كانت سائدة لتحل محلها الفلسفة الوضعية التجريبية،

والتي أعطت للتّحليل السلطة لمجابهة جميع العلوم، الرياضية وغير الرياضية، كالعلوم الإنسانية واللسانيات وغيرها.

ومن العلوم التي غدت التداولية وأسهمت في انبثاقها نذكر:

### \*الفلسفة التحليلية:

وهي مذهب فلسفي يسعى لمعالجة اللغة، فإذا «حاولنا البحث عن الجذور الأولى (للتداولية) فيمكن لمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة (الفلسفة التحليلية) وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة، أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها»<sup>(20)</sup> وهذا الاتجاه الباحث عن ثيمة اللغة لم يكن محايداً في توجهه وإنما حاول الإحاطة بجوانب اللغة، ولذلك «تميزت الفلسفة التحليلية بأنها تركز على النمط المعرفي، لأنها تتجه نحو الكشف عن العالم الخارجي عن طريق فحصه ولأجل اكتساب المعرفة وليس لأي سبب آخر، وهذا ما يجعلها أقرب إلى الفلسفات العلمية منها إلى الفلسفات التقليدية»<sup>(21)</sup> واعتباراً للأهمية التي يحتلها هذا الاتجاه وللخدمات الفلسفية التي يقدمها للغة؛ من أجل القبض عليها والإمساك بخيوطها الدلالية، فقد «تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عدد من الفلاسفة منهم (هوسرل) و(كارناب) و(فيتغنشتاين) و(اوستن) و(سيرل) وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها: أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة. فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها»<sup>(22)</sup>، وتتفرع عن الفلسفة التحليلية ثلاث اتجاهات متباينة في أفكارها وهي:

### - الوضعانية المنطقية PositivismeLogique :

ومن بين روادها الفيلسوف "رودولف كارناب" Carnap Rudolph الذي حاول رسم لغة منطقية وعلمية، دقيقة تناقض بصرامتها تلك اللغة الاعتباطية العادية التي لا يساوي دالها مدلولها، كما تتسم بالغموض واللااستقرار، انطلاقاً من البحث في ثلاث مستويات هي: التحليل الفيزيولوجي للسياقات والتحليل السيكلوجي للعلاقة بين السلوك اللغوي والسلوكات، الدراسة الاثنولوجية السوسولوجية لطرق الكلام واختلافاتها بحسب شرائح المجتمع.<sup>(23)</sup>

### - الظاهرية اللغوية Phénoménologie du Langage :

ويصطلح عليها كذلك بالفينومينولوجيا، أو علم الظواهر وتُعنى بالوعي والإدراك للظواهر الخارجية- أي خارج الذات- وإضفاء المعاني والدلالات عليها، فيتشكل هذا المعنى انطلاقاً من التقاء الوعي بالأشياء الكائنة خارجه؛ أي تلك الكينونة الواعية في رصد الموضوع.<sup>(24)</sup>

### - فلسفة اللغة العادية Philosophie du Langage Ordinaire :

يمكن القول أن هذه الفلسفة مناقضة للفلسفة السابقة- الوضعانية المنطقية- ففلسفة اللغة العادية وكما هو مبين من عنوانها تهتم باللغة العادية، حيث رأى رائد هذا الاتجاه "فيتجنشتاين" أن اللغة الطبيعية العادية تساهم في إنجاز عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، وإيصال الرسالة بوضوح بعيداً عن الغموض والتعقيد. هذا الطرح سيخوض فيه فيما بعد كل من أوستين وسيرل، بتقديمهم فلسفة تحليلية للغة تهتم بالمقاصد في العملية التواصلية<sup>(25)</sup>.

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول أن فلسفة اللغة العادية التي تدرس اللغة المعيارية كما يتكلمها الإنسان العادي، في صميم التداولية ومنطقاتها ونظرياتها وخاصة نظرية أفعال الكلام التي انبثقت منها على عكس الظاهرية اللغوية، والوضعانية المنطقية، فلم تعن بهما التداولية.

### \*الفلسفة البراغماتية:

فبالإضافة إلى الفلسفة التحليلية التي ساهمت بشكل كبير في ظهور التداولية، وانبثاق نظريتها المتمثلة في الأفعال الكلامية، نجد الفلسفة البراغماتية أمريكية الأصل التي نشأت على يد الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس"، ويمكن القول أنها «اتجاه تجريبي عملي يعتمد على الواقع الخارجي ويهتم به كما يتبدى في خبراتنا الحسية، فالفيلسوف البراغماتي يتجه إلى دراسة ما هو متعين وحقيقي، لا يفرض الكشف عن حقائق معينة، أو تحقيق نتائج معينة ثابتة، ومن أجل اتباع طريقة تساعد على تحقيق الأفكار والمعاني في الواقع الخارجي فهي تسعى لمعرفة ما هو زائف وما هو حقيقي من المعاني بالاعتماد على معيار الصدق الذي يُتوصل إليه من تحليل المعاني والمعتقدات»<sup>(26)</sup> ويراد من معيار الصدق تلك الأفكار الصادقة، والعملية التي تؤدي بدورها إلى النجاح في الحياة، مع الابتعاد عن كل ما هو ميتافيزيقي وغيبوي - غير ملموس - وقد استفادت التداولية من هذا الطرح.

### \*علم النفس المعرفي:

يعتبر علم النفس المعرفي من بين العلوم التي شهدت تطورا كبيرا في العقود الأخيرة، لأهميته الكبيرة وتطبيقاته في العديد من المجالات، كما أنه «أحد فروع علم النفس العام الذي يعالج نماذج السلوك الإنساني في مجالات حياة الإنسان المختلفة والتي تتجاوز حاليا أكثر من خمسين فرعا»<sup>(27)</sup> وفي هذا السياق نجد عدة بحوث لتفسير كيفية اشتغال الذهن البشري، مثل ما قام به "جيرري فودور" في تبين كيفية اشتغال الذهن البشري، وقد استفادت التداولية من هذا العلم خاصة "نظرية الملائمة" التي سهلت لها تفسير العمليات الاستدلالية في إدراك أبعاد الفعل اللغوي.<sup>(28)</sup>

#### • نظريات التداولية:

#### \*نظرية أفعال الكلام La Théorie des actes de parole:

أفعال الكلام من بين النظريات التي قامت عليها التداولية، والتي تحدت عنها الفيلسوف واللغوي "جون أوستين" في محاضراته، والتي جمعها فيما بعد في كتابه "كيف نعمل الأشياء بالأقوال" حيث «بين أن اللغة ليست بُنى ودلالة فقط بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث تغييرا معينا في سلوك مخاطب (ي) ه إن بالفعل أو بالكلام»<sup>(29)</sup> كما يرى بأن: «الأقوال اللغوية تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر مما تعكس أقوالا يتعاورها مفهوما الصدق والكذب الدارجين بين الفلاسفة...»<sup>(30)</sup> فتهتم هذه النظرية بالجانب الفعلي في اللغة والخوض فيه، لأن المتكلم أثناء تأديته للفعل الكلامي يقوم بالتصريح أو الإخبار عن شيء ما أو الأمر، أو النهي، أو النصح وغيرها من الأفعال الكلامية، وقد قسمها أوستين إلى ثلاثة فروع وهي:

#### - فعل القول أو الفعل اللفظي Act Locutionary:

يراد بالفعل اللفظي سلامة الجملة خلال النطق بها، وذلك من حيث التركيب؛ أي أنها يجب أن تكون موافقة لقواعد النحو اللغوي، و«لكن هذا الفعل اللفظي ليس بالبساطة التي قد تُفهم من الكلام السابق. لأنه فعل معقد ومركب - فيما يرى أوستن - من ثلاثة عناصر تركيبية يمثل تنفيذ كل عنصر منها فعلا بذاته هذه العناصر هي: أ- الفعل التصويطي (... ) ب- الفعل التأليفي (... ) ج- الفعل الاحالي (... )»<sup>(31)</sup> ويُفهم مما سبق أن الفعل القولوي أو اللفظي يتضمن ثلاثة أفعال هي: الفعل الصوتي، والفعل التركيبي - النحوي - ، والفعل الدلالي.

#### - الفعل الانجازي أو الفعل المتضمن في القول Act Illocutionary:

هو ذلك الكلام الذي يقذفه المتكلم إلى المتلقي، لتوصيل رسالته بقوة «وهو ما أسماه أوستن بقوة الفعل»<sup>(32)</sup> أي أنّ المتكلم خلال عملية التكلّم ينجز معنى قصدياً، كالنصح أو الأمر أو النهي أو غيرها من الأفعال الكلامية. ويختلف الفعل اللفظي عن الفعل الانجازي أن الأول مجرد قول يحتوي على صوت ودلالة وتركيب، بينما الثاني هو فعل، أو مجموعة أفعال يريد المتكلم توصيلها لمتلقيه.

### - الفعل الناتج عن القول Act Perlocutionary :

ويُقصد بالفعل الناتج عن القول استجابة المتلقي لهذا الفعل، كالقبول أو الرفض كما يمكن القول أنه «التأثير العملي للقول أو الأثر الذي يحدثه الفعل الانجازي في المتلقي (acheived effect) ورد فعل المتلقي، كقبول الدعوة وإجابة السؤال وامتنال الأمر، أو توليد فعل آخر موازٍ للقول»<sup>(33)</sup>.

أمّا إذا أردنا التبسيط أكثر في فروع نظرية الأفعال الكلامية، نقول:

- 1- أفعال القول: يراد بها الكلام أو النص الذي ينتجه المتكلم.
- 2- أفعال الانجاز: هي الغرض الذي يرومه المتكلم من هذا الكلام، أو من هذا النص.
- 3- أفعال التأثير بالقول: هو الأثر الذي تلقاه المتلقي وتأثر به.

ولو ألقينا نظرة على تراثنا العربي، لوجدنا تقاطعات واضحة لهذه الأفعال الكلامية مع ما قدمه البلاغيون القدامى، فقد أشار الناقد مسعود صحرابي «إلى أن ظاهرة الأفعال الكلامية عند الأصوليين قد انقسمت إلى نوعين أساسيين: أفعال كلامية منبثقة عن الخبر، وأفعال كلامية منبثقة عن الإنشاء. مع إلحاحه على تداولية ظواهر أسلوبية كثيرة بحثها الأصوليون والفقهاء مثل ألفاظ العقود والمعاهدات باعتبارها "أفعالاً كلامية" تتحقق فيها "الحمولة الانجازية"»<sup>(34)</sup>.

### \*نظرية المحادثة:

إنّ كلمة محادثة جاءت على صيغة مفاعلة، وحسب ظاهرها ومفهومها الأولي فيراد بها ذلك النشاط التواصلي بين اثنين أو أكثر، أما عند الحديث عما تحمله هذه النظرية في أعماقها، فيمكن القول أنها فلسفة جاء بها الفيلسوف "بول غرايس" Paul Grice «والتي تتجلى بوضوح في أشهر مقال له: "منطق

المحادثة" (1975م) فقد أدخل فيها مفهومي مهمين يعدان من أهم المفاهيم التي تهتم بها اللسانيات التداولية، وهما "الاستلزام الحواري" و"مبدأ التعاون" ويقدم ضمن هذا المقال مفهوما متطورا للدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، كما يصوغ مقارنته لإنتاج الجمل وتأويلها ومنه يمكن التمييز بين الجملة والقول (...). وهذا التمييز بين الجملة والقول يعد من أبرز المفاهيم التي ركزت عليها اللسانيات التداولية<sup>(35)</sup> فالمحادثات عبارة عن جهود تعاونية بين الناس أو المشاركين في هذا الحوار، وهو ما أسماه بالمبدأ التعاوني.

وإذا أردنا الوقوف عند هذان المصطلحان المتداخلان، اللذان جاء بهما بول غرايس، فنقول فيهما ما يلي:

#### - الاستلزام الحواري:

يعتبر "الاستلزام الحواري" من أهم وأبرز الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية، نظرا لما تحمله عملية التخاطب من معاني عديدة، وهو قائم على فكرة المحادثة والحوار، والتّحاور ويعتبر هذا النوع من الاستلزام آلية من آليات إنتاج الخطاب، والذي يدل على قدرة المتكلم في إيصال المعنى أكثر مما يقوله في الكلمات - أثناء عملية التّكلم - (36)

وهذا المبدأ -الاستلزام الحواري- له جذور في تراثنا العربي، فنجد عند الرازي في حديثه عن اللفظ والجملة، كما نجده عند عبد القاهر الجرجاني عند حديثه عن معنى المعنى، فالاستلزام الحواري حلقة وصل بين المعنى الصريح والمعنى المضمّر في الجملة<sup>(37)</sup>.

#### - مبدأ التعاون:

يقوم "مبدأ التعاون" على فكرة التعاون بين المتكلم والمتلقي في عملية التّحاور، من أجل تسهيل عملية التخاطب ومن ثمة تحقيق المعنى المطلوب، «كما يعدّ المبدأ التعاوني Principle Cooperative في الحوار. والذي قدّمه بول جرايس (1985) Grice، ركيزة أساسية من الركائز التي تقوم عليها التداولية وأداة مهمة من أدواتها في أن»<sup>(38)</sup> أي أنّ هذا المبدأ يبحث عن الخفي والمضمّر، لا عن ما هو ظاهر كائن.

و يمكن القول في ختام هذا البحث: أن التداولية مبحث لغوي يتقاطع مع عدة علوم مجاورة ومكملة له كاللسانيات، والفلسفة، وعلم النفس، وغيرها من العلوم، كما وجدنا جذوره في كل من التراثين: اليوناني والعربي. وعرفنا نظرياتها والمتعلقة أساسا بنظرية الأفعال الكلامية، ويؤسفنا عدم التطرق إلى نظريات أخرى، كالحجاج .

## الهوامش:

- (1) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية-اللاذقية، ط1، 2007، ص 17.
- (2) المرجع نفسه: ص 17
- (3) المرجع نفسه: ص 17-18.
- (4) آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص29.
- (5) مجيد الماشطة: مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018، ص29.
- (6) المرجع نفسه ( مجيد الماشطة): ص30-29.
- (7) محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) " دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012، ص 9-10.
- (8) جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015، ص 6.
- (9) المرجع السابق (جميل حمداوي): ص 6.
- (10) خولة طالب الإبراهيمي: عن التداولية، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد16، ديسمبر 2003، ص 115.
- (11) ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط3، 2002، ص 168.

- (12) جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، ص 7.
- (13) جاك موشر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2010، ص 21.
- (14) جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص 13.
- (15) بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012، ص33.
- (16) سامية بن يامنة: الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2012، ص 29-30.
- (17) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 18-19.
- (18) المرجع نفسه: ص 19.
- (19) مجيد الماشطة: مسرد التداولية، ص 34.
- (20) بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 34.
- (21) أحمد عبد الحليم عطية: الفلسفة التحليلية ماهيتها، مصادرها، ومفكروها، ص 42.
- (22) بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 34.
- (23) ينظر: خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 5-6.
- (24) ينظر: المرجع نفسه، ص 6-7.
- (25) ينظر: المرجع نفسه، ص 7-8.
- (26): المرجع نفسه: ص 20.
- (27) عدنان يوسف العتوم: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2004، ط2، 2010، ط3، 2012، ص21.
- (28) ينظر: خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص20-21.
- (29) خولة طالب الإبراهيمي: عن التداولية، ص119.
- (30) محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) " دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ "، ص97.
- (31) بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص386.
- (32) المرجع نفسه، ص386.
- (33) محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) " دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ "، ص100.
- (34) بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص55.

- (35) خديجة بوخشة: محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 21.
- (36) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، منشورات الاختلاف، ط1، 2011، ص 17-18.
- (37) ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (اللسانية)، ص 87-88.
- (38) بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، ص 40.

#### قائمة المراجع:

- 1- أحمد عبد الحليم عطية: الفلسفة التحليلية ماهيتها، مصادرها، ومفكروها، د.ط، د.ت.
- 2- آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003 .
- 3- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، منشورات الاختلاف، ط1، 2011.
- 4- بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.
- 5- بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012 .
- 6- جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2010 .
- 7- جورج يول: التداولية، ترجمة: قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان ط1، 2010.
- 8- جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المتقف، ط1، 2015 .
- 9- مجيد الماشطة : مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018.
- 10- محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) " دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ "، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012.

- 11- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2002.
- 12- سامية بن يامنة: الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2012.
- 13- عدنان يوسف العتوم: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2004، 1، ط2، 2010، ط3، 2012.
- 14- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية-اللاذقية، ط1، 2007.
- 15- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية.
- 16- خولة طالب الإبراهيمي، عن التداولية، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد16، ديسمبر، 2003 .